المآخذ الشعرية

عقد اقوال فلاسفة اليونان

اخذ شعراء العرب كثيراً من اقوال الفلاسفة والحكماء ولا سيما اليونان وادمجوها في منظومهم ولقد جمعت منها ما وصلت اليهِ يد البحث فمن ذلك قول صولون الفيلسوف الشهير « خير الامور اوسطها » فعقدهُ بعضهم بقولهِ :

فرط التنائي غلط خير الامور الوسط

وقال الآخر عاقداً قول افلاطون « لِمَ تدخر المال والموت راصد . قال : أن يموت الانسان ويخلف مالاً لاعدائهِ خير من ان يحتاج في حياتهِ الى اصدقائهِ » :

مالٌ يخلفهُ الفتى للشامتين من العدى
خيرٌ لهُ من قصدهِ اخوانهُ مسترفدا

وعقد ابو الفتح البستي قول ارسطو « التنية يتبوع الاحزان »

يقولون مالك لا تقتني من المال ذخراً يفيد الغنى
فقلتُ والخمتهم في الجواب لكي لا اخاف ولا احزنا

وعقد ابو العتاهية قول بعض الحكماء عند موت الاسكندر المكدوني الكبير « لقد كان الملك امس انطق منهُ اليوم وهو اليوم اوعظ منهُ امس » :

كفى حزناً بدفنك ثمَّ اني نفضت تراب قبرك من يديَّا
وكانت في حياتك لي عظات فانت اليوم اوعظ منك حيَّا

وعقد صفي الدين الحلي قول زينون الفيلسوف لشاب جاهل ومهذار « كفَّ فقد خلق لنا اذنان وفم واحد لنسمع اكثر مما نتكلم » :

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن عجلاً بنطقك قبلما تتفهَّمُ
لم تُعطَ مع اذنيك نطقاً واحداً الاَّ لتسمع ضعف ما تتكلَّمُ

واخذ بعضهم قول ارسطو « الغنى في الغربة وطن والمقلُّ في اهلهِ غريب »

لعمري ما الغريب بذي التنائي ولكنَّ المقلَّ هو الغريب
اذا ما المرءُ أعوز ضاق ذرعاً بحاجتهِ وأبعدهُ القريبُ

ونظمهُ الآخر بقولهِ

الفقر في اوطانهِ غربة والمال في الغربة اوطانُ

ونظم بعضهم قول الاسكندر المكدوني تلميذ ارسطو وقد سئل : ما بال تعظيمك لمؤدبك اكثر من تعظيمك لابيك . فقال « لان ابي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية » ويروى هذا الكلام لبزرجمهر الفارسي :

اقدم استاذي على نفس والدي وان غالي من والدي الفضل والشرف
فذاك مربي النفس والنفس جوهر وهذا مربي الجسم والجسم من صدف

وانم الآخر بقول بيتاقوس الحكيم « احفظوا اصحابكم وعيشوا معهم بالمعروف مع الاحتراس فربما انقلب الصديق عدوًّا »

احذر عدوك مرة واحذر صديقك الف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة

واقتبس بعضهم قول اسطرخس الصامت لما سئل عن علة لزومه الصمت فاجاب « اني لن اندم عليه قط وكم ندمت على الكلام »

الصمت زين والسكوت سلامة فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما ان ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

والمّ به ابو نواس بقوله :

خلِّ جنبيك لراحِ وامضِ عنهُ بسلامِ
مت بداء الصمت خيرٌ لك من داء الكلامِ
انما انسانُ من أجم فاهُ بلجامِ

وعقد المقري ما دار بين افلاطون وبقراط قبل ان يتعلم الاول منهُ قبل اجابة تلميذه حتى الموت . بقوله

ارسل افلاطون وهو الذي قدمًا سما في الناس بالحكمة
لشيخه بقراط من قبل ان يكون ممن قد حوى علمه
ان انت حققت جوابي على ثلاثة محضتك الخدمه
وكنت تلميذاً مقرًّا بما تسديه من علم ومن حرمه
فقال بيّنها فقال أكشفنْ عمن احق الناس بالرحمه
وعن امور الناس اوضحْ متى تضيع واستقبالنا النعمه
من ربنا سبحانهُ ما الذي به تلقّى فاشرح القصه
فقال بقراط : أحق الورى برحمة يا موفيَ الذمّه

ذو العقل في تدبير ذي الجهل لا يبرح طول الدهر في غمّه
والبرّ ان اضحى بسلطان ممن يجوره عمّ الورى نقمه
يحزنهُ ما يسمع او ما يرى منهُ لان الظلم ذو ظلمه
كذا كريم النفس ذو حاجةٍ الى لئيم ساقط الهمّه
يغدو ذليلاً خاضعاً خاشعاً لهُ ونلهيك بذا وصمه
فاسأل من الرحمن سبحانهُ عن الثلاث الحفظ والعصمه
وذي ثلاث ان تكن في الورى ضاعت امور الناس في مهمّه
المال في كف امرئٍ مسك لهُ يرى انفاقهُ ثلمه
والرأي ان كان لدى من أبوا منهُ قبولاً وأبوا حزمه
وذو سلاح ليس مستعملاً لهُ ولم يكسب به حشمه
وذي ثلاث غيرها اوضحت عما به تستقبل النعمه
ترك المعاصي ولزوم التقى وكثرة الشكر فصن نظمه

وقال افلاطون في زينوكراتس وسقراط تلميذيه : « ان سقراط يحتاج الى لجام لتوقد ذهنهِ وزينوكراتس الى مهماز لخمولهِ » فقصدهُ ابن الرومي بقولهِ

عندي لهُ السوط ان تلاعم في السير وعندي اللجام ان ركضا

او هو من المعاني المشتركة بين كثيرين

ولقد ألّف الامام ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر المعروف بالحاتمي رسالة في سرقات المتنبي من اقوال فلاسفة اليونان [1] منها قولهُ عاقداً حكمة ارسطو « اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك النفس دون بلوغها » :

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسامُ

وقولهُ مما في حكمته « الالفاظ المنطقية مضرة بذوي الجهل لنبوّ احساسهم عن ادراكها » :

بذي الغباوة من انشادها ضررٌ كما تضرُّ رياح الورد بالجعلِ

---

(1) نشرت هذه الرسالة في كتاب « رائد سوريا » لفنس انطون بولاد . وألف ابو سعيد العبيدي رسالة في سرقات المتنبي لفظاً ومعنى طبعت في مصر في ٨٨ صفحة فيها اغلاط كثيرة فجيدا لو تصحت وقوبلت على نسخة مضبوطة . وهي تتضمن سرقاتهِ من الشعراء . ومن ذلك رسالة المنصف في سرقات المتنبي لابن وكيع التنيسي وغيرها

وقولهُ متمثلاً بحكمة « الزمان ينشي ويلاشي فناء كل قوم سبب لوجود قوم آخرين » :

بذا قضت الايام ما بين اهلها مصائب قوم عند قوم فوائدُ

وقولهُ متناولاً كلامهُ « من لم يردك لنفسهِ فهو النائي عنك وان تباعدت انت عنهُ » :

اذا ترحلتَ عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هُمُ

وقولهُ في نصيحتهِ « من لم يقدر على الفضائل فلتكن فضائلهُ ترك الرذائل » :

إنَّا لفي زمنٍ ترك القبيح بهِ من اكثر الناس احسانٌ واجمالُ

وعقد قولهِ « اعجز العجز من قدر ان يزيل العجز عن نفسهِ فلم يفعل » :

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على الكمالِ

ومما لم ينبه عليهِ الخاتمي قولهُ عاقداً قول جالينوس « لا تأكل لتحيا ولسنا نحيا لنأكل » :

شرابهُ الشحم لا للريّ يطلبهُ وطعمهُ لقوام الجسم لا السمنِ

وعقد قولهِ « الظلم من طبع النفوس وانما يصدها عن ذلك احدى علتين اما علة دينية كخوف معاد واما سياسية كخوف سيف » وقيل انهُ تناولهُ من اقوال الفلاسفة الرواقيين « الناس يخلقون اخياراً بالطبع ثم ينصرفون الى الشر بمصاحبة اهل الشر » :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلمُ

وقال آخر عاقداً قول فيلسوف يوناني

ما استكمل المرء من لذاتهِ طرفاً الاَّ واعقبهُ النقصان من طرفِ

وبمعناهُ قول ابن المعتز العباسي

ترامت بنا حادثات الزمانِ ترامي قوسٍ بنشابها
وما ينتقصُ من شباب الرجالِ يزدْ في نهاها والبابها

ومن ذلك قول الآخر

لحكمنا بقراط خير قضية ووصية تنفي الهموم الركّدا
قال الهموم تكون من طبع الورى في ليث ما في طبعهِ ان ينقدا
فاذا اقتنيت من الزجاجة قابلاً للكسر فانكسرت فلا تكُ مكمدا

وقول محمد عثمان بك جلال الشاعر المصري ناظماً حكمة سقراط

سقراط لما بنى بيتاً ليسكنهُ جاءت لتنظر هذا البيت جيرانُ
قالوا لهُ ضيق لم يأتِ احدٌ وكلهُ عطفٌ سورٌ واركانُ
وكيف تصنع يا سقراط ان دخلت في كسر بيتك احباب وخلاَّنُ

فقال ما ضرّهُ ضيقٌ ولا صغرٌ «دمُ الخياط مع الاحباب ميدانُ»

وقال الشيخ ناصيف اليازجي عاقداً قول جالينوس «الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراهُ الاّ المرضى»

لا يعرف الانسان قيمة لما كان من الصحة حتى يبتلى

وقال ابو العتاهية عاقداً قول احد الفلاسفة عند موت الاسكندر المكدوني «حرّكنا بكمونهِ»

يا عليّ بن ثابتٍ بان مني صاحبٌ جلّ فقدُهُ يوم بنتا
قد لعمري حكيتَ لي غصص الموت وحرّكتني لها وسكنتا

الى غير ذلك مما هو مشهور في الجاميع العربية ولقد ولع بالاخذ من فلاسفة اليونان ابو العتاهية وصالح بن عبد القدوس والمتنبّي والمعرّي وابن الرومي وغيرهم

عقد اقوال فلاسفة الفرس

عقد بعضهم قول انوشروان «ان احببت ان لا تغتمّ فلا تقتنِ ما به تهتمّ»

ألَم ترَ ان الدهر من سوء فعلهِ يكدّر ما أعطى ويسلب ما أسدى
فمن سرّهُ ان لا يرى ما يسوؤهُ فلا يتخذْ شيئاً يخاف لهُ فقدا

وتناول الآخر قول بزرجمهر «فاذا اقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تبقى»

لا تجمعنّ بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرفُ
وإن تولّت فاحري ان تجود بها فالحمد منها اذا ما أدبرت خلفُ

وقال كسرى «عليكم باهل السخاء والشجاعة فانهم اهل حسن الظن بالله ولو ان اهل البخل لم يدخل عليهم من ضرّ يخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الاّ سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عظيماً» فعقدهُ محمود الوراق

من ظن بالله خيراً كان مبتدئاً والبخل من سوء ظنّ المرء بالله

وقال سابور بن ازدشير «العقل نوعان احدهما مطبوع والآخر مسموع ولا يصلح واحد منهما الاّ بصاحبهِ» فتناول الشاعر هذا المعنى بقولهِ

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموعُ
فلا ينفع مسموعٌ اذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوعُ

واقتبس ابن المعتز قول كسرى انوشروان في الرجز: «هو ياقوت اصفر بين درّ

ابيض على زمرّد اخضر » بقوله

وياقوتةٍ صفراء في رأس درّةٍ مركّبةٍ في قائمٍ من زبرجد
كمثل بهيّ الدرّ عقد نظامها نثير فرندٍ قد أطاف بعسجد
كأنّ بقايا الطلّ في جنباتها بقيّة دمع فوق خدٍّ موردّ

وعند محمد بن عبدالله بن طاهر قول ازدشير بابك في الورد : « هو درٌّ أبيض وياقوت احمر على كراسي زبرجد اخضر توسطتهُ شذورٌ من ذهب اصفر . لهُ رقة الخمر ونفحات العطر » بقوله

كأنهنّ يوتيت يطيف بها زمرّدٌ وسطهُ شذرٌ من الذهب
فاشرب على منظرٍ مستظرفٍ حسنٍ من خمرة مزّةٍ كالجمر في اللهب

وعند ابو المظفر البلخي قول الحكيم الفارسي بزرجمهر مرّوزيك

لا ترضين من الصديق بكيف انت ومرحبابك
حتى تجرب ما لديهِ لحاجة اما بدت لك
فاذا وجدت فعالهُ كمقالهِ فبهِ تمسّك

عند اقوال فلاسفة الهند

عند بعضهم قول يبدا في كليلة ودمنة

وكلٌّ الى طبعهِ عائدٌ وان صدّهُ المنع عن قصدهِ
كذا الماء من بعد تسخينهِ يعودُ سريعاً الى بردهِ

واقتبس ابو تمام الطائي قولهُ في الكتاب المذكور « ان الحازم يكره الفتاء ما وجد بدّاً منهُ لان النفقة فيهِ من النفس والنفقة في غيرهِ من المال »

كم بين قومٍ انما نفقاتهم مال وقوم ينفقون نفوسا

واديج ابن الرومي كلام بعض حكماء الهند وهو « ان الرجل ذا المروّة والفضل ليكون حامل المنزلة غامض الامر فما تبرح بهِ مروّتهُ وعقلهُ حتى يستبين ويعرف كالشعلة من النار التي يصوّبها صاحبها وتأبى الاّ ارتفاعاً »

ثم حاولتُ بالتخييل تصغيري فما زدتني سوى التعظيم
كالذي طأطأ الشهاب ليخفى وهو أدنى لهُ الى التضريم

عيسى اسكندر المعلوف